شهريات

بقلم رئيس التحرير

١ ــ براعة السقوط ...

نشرت الصحف في أواخر الشهر الماضي ان الدكتور حسين فوزي كان أول عالم مصري يلقي محاضرات في جامعة اسرائيلية ، وانه أشار في مؤتمر صحفي عقده في حيفا الى « أن المصريين يدركون أنهم ليسوا عربا » !

وقد ذكرني ذلك بلقاء لي معه في جريدة « الاهرام » منذ خمسة أعوام تقريبا مع توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ولويس عوض وزكي نجيب محمود ولطفي الخولي . وكتبت عن هذا اللقاء في عدد « الآداب » الثاني (شباط) من عام ١٩٧٤ . وفي أثناء النقاش ، تدخل حسين فوزي ليقول بلهجة مصرية :

ــ هو مين اللي بيقول ان مصر عربية ؟ مصر دي مش أرض عربية ، دي مصر وبس ...

ثم أضاف :

ــ عروبة مصر ليست أصيلة ، وانما هي مجرد رد فعل لقيام اسرائيل !

كان ذلك طبعا قبل زيارة السادات المشؤومة لتل أبيب . وها هو حسين فوزي يسير على خطى رئيسه ، فيقول لمندوب الاذاعة الاسرائيلية : « انني لسعيد جدا بأن أرى ما حققته اسرائيل في مدة وجيزة من الحضارة الاوروبية ــ الاميركية على هذه الارض . »

وانا أفسح المجال هنا للكاتب اللبناني الكبير الاستاذ محمد النقاش ، مقتبسا من مقاله المنشور في العدد ٥٢٢٩ من جريدة « الشعب » هذه المقاطع التي تعبّر أعمق تعبير عن موقف المثقفين العرب جميعا من حسين فوزي وأمثاله :

« أين مدعاة السعادة هنا ؟ اننا مع تسليمنا بعدم عروبة فوزي ، وبتعري حكمه من كل شعور أخوي ، لنتساءل كيف يسعد أديب وفنان برؤية حضارة أيا كانت ، تنهض على أنقاض شعب برمته ؟ ان الادب والفن انسانية قبل كل شيء ، فأين الانسانية في الابتهاج لموت شعب تحت ثقل شعب آخر ، جاء تارة متسللا وطورا غازيا ، وفي كل حين دون وجه من وجوه الحق .

ويتابع الاستاذ النقاش قائلا :

« بهذه العبارة ، أثبت الدكتور حسين فوزي « السندباد البحري » انه من أشد أنصار الاستعمار تحمسا . وكان جديرا به على هذا الاساس أن يؤيد دوام الاحتلال البريطاني في مصر . لان الفرق « الحضاري » حسب نظرته الى الحضارة بين الانكليز وشعب مصر ليس أصغر من الفرق نفسه بين اليهود الاوروبيين ــ الاميركيين وشعب فلسطين .. فكيف تمسك العالم الاديب بهذه النظرة العرقية البائسة ، وتجاهل حق كل شعب بالحرية والاستقلال على أرضه . وتقرير مصيره كما يحلو له ؟ أفلا يكون الدكتور حسين فوزي بموقفه هذا من أنصار التمييز العنصري في جمهورية جنوب أفريقيا وروديسيا ، ومن أعداء استقلال الهند مثلا ، وجميع الدول التي حصلت على الاستقلال في اعقاب هزيمة الفاشية ؟

ان الحضارة التي سعد جدا برؤيتها تقام على أرض الشعب الفلسطيني وحطامه ، وقفت من أمثاله في الحرب العالمية وفي أعقابها وقفة الديان لكل من تعاون مع المجتاح . وفي فرنسا نفسها كتاب لا يؤاخذنا حسين فوزي اذا قلنا له أنهم أعلى منه كعبا وأطول باعا ، لوحقوا وحكم عليهم بالاعدام لتعاونهم مع العدو النازي . فالفكر ان لم يقدس الحق والحرية ، تسقط عنه المهابة والرعاية . وقد سقط حسين فوزي في اسرائيل ، متفوقا على توفيق الحكيم لاول مرة في حقل من الحقول هو : براعة السقوط . »

٢ ــ بين الناشرين والمؤلفين

أعجبتني صرخة نزار قباني التي أطلقها على صفحات «الوطن العربي» (العدد ١٤٢ تاريخ ١ــ٨ تشرين الثاني) ضد الناشرين اللبنانيين .

أعجبتني بجرأتها وصراحتها وادانتها لـ « طبقة الناشرين ، العرب التي هي « طبقة سفاحين ومرابين وتجار بورصة » والتي أصبحت تشكل في لبنان « مافيا » فظيعة تملك كل وسائل الاغتصاب والابتزاز ، وتعمد الى جميع أساليب القرصنة والاحتيال » ...

وكان طبيعيا ان يستثني نزار من هذه الطبقة « قلة تعد على الاصابع » لانه يعرف دورا للنشر « تحترم شرف المهنة وكرامتها وطقوسها المقدسة » ، وقد سبق له ، هو شخصيا ، أن تعامل مع احداها كمؤلف ، قبل أن يصبح ناشرا لكتبه ..

والحقيقة أن هذه القلّة تعاني معاناة شديدة من سلوك كثير من الناشرين في لبنان ، وقد أصيب بعض أفرادها ، وربما كل أفرادها بعمليات الاعتداء التي أصبحت القاعدة الاساس في سلوك هؤلاء الناشرين . واذا كان نزار قباني قد « قاتل بأظافره وأسنانه » من أجل « ردع » تلك الفئة الشريرة ، ووفق في « ردعها » الى حد كبير ، فان دور النشر الشريفة الاخرى لم تبلغ هذا التوفيق ، وهي لا تزال تعيش رعبا حقيقيا من احتمال وقوعها فريسة السطو الذي تمارسه « زميلات » لها فقدت كل ضمير ووجدان ... وهؤلاء الناشرون «القلّة» نادمون ولا شك على أنهم « تورطوا » في هذه المهنة ، مهنة النشر التي أصبحت « سيئة السمعة » كالساقطات من النساء ، وأصبح من همّ تلك القلّة من الناشرين أن ينفوا صفة الشمولية عن سمعة النشر ، ويثبتوا بمزيد من الادلة والبراهين أن بامكانهم انقاذها ورد الاعتبار لها !

نحن ــ اذن ــ نقر الشاعر الصديق على حملته هذه، ونرجو أن يعمل الناشرون ، في لبنان خاصة ، على تطهير صفوفهم من هذه الاعشاب الطفيلية التي تسيء الى شرف المهنة ، وهي من أشرف المهن حقا اذا تولاها من يدرك أنها رسالة قبل أن تكون تجارة ...

ولكننا نعتقد مع ذلك بأن الصورة التي قدمها نزار « للقضية » صورة ناقصة ، لانها تصب العيون كلها على طرف واحد من طرفي القضية ، هو الناشرون ، وتبرّيء الطرف الاخر ، وهم المؤلفون ، من كل نقيصة وعيب !

ونحن نود أن نؤكد أن ليس جميع المؤلفين قديسين!

ان هناك مؤلفين يخرقون العقود التي يوقعونها مع الناشرين ، فيعطون حق نشر كتبهم الى أكثر من ناشر واحد وفي وقت واحد ، بحيث يتقاضون هذه الحقوق مرتين (كما يفعل ، بالمناسبة ، بعض الكتاب في المجلات!) وليست حجتهم في أنهم يمنحون هذه الحقوق لدارين في بلدين مختلفين ، بمقبولة اطلاقا .. وقد يعطون حق النشر لطبعات أخرى قبل أن تكون المدة المنصوص عنها في العقد قد انتهت أو قبل أن تكون كمية الطبعة الاولى قد نفدت ، مما يعود على الناشر الاول بأضرار عينية .

ولكن المؤلفين الاكثر سوءا ، من هذه الفئة ، هم أولئك الذين يطلقون التهم جزافا بحق ناشريهم ، ومن غير أن يملكوا أي دليل يقدمونه على شكوكهم ، سوى دافع خفي في نفوسهم الى ايهام الناس بأن كتبهم رائجة رواجا عظيما ، وان الناشر الذي تعاقدوا معه على طبع ثلاثة الاف نسخة أو خمسة الاف نسخة قد طبع عشرات الالوف ، وانه يجني من كتبهم وحدها أرباحا طائلة !

والعجيب ، أوليس عجيبا ، أن هؤلاء المؤلفين هم عموما أقل المؤلفين رواجا وكتبهم أكسد الكتب ! وليست دعاواهم الا نوعا من التعويض عن الخيبة الذاتية !

على أن أسوأ المؤلفين حقا أولئك الذين يتصفون بالعقوق ، ويرتدون على ناشرهم الذي أطلقهم وشق لهم طريق الشهرة ...

وقد عرفت « دار الآداب » مثلا ــ نموذجا من هؤلاء المؤلفين .. ومن المؤلم والمؤسف انه نموذج ... نسويّ !

لقد نشرت دارنا ، دون سواها ، جميع كتب هذه المؤلفة ، منذ كتابها الاول الذي استغرق نفاده ، وهو في ألفي نسخة فقط ، ست سنوات كاملة ... ثم أخذت كتبها تزداد رواجا . ونحن لا نريد أن نغمط المؤلفة مزاياها الكتابية ، فلولا هذه المزايا ما وافقنا على نشر كتبها ... ولكنها بعد أن قررت أن تصبح ناشرة كتبها ــ وهذا من حقها بكل تأكيد ــ نسيت ماتحدثت به في الاوساط الادبية وما نشرته في بعض المقابلات من ثناء على ناشرها القديم ، لتبدأ في ممارسة سلوك عجيب يرمي الى تشويه سمعة هذا الناشر الذي كان قد عاملها أكرم معاملة وصفى حسابها القديم أشرف تصفية ، وحرص على أن يحفظ صداقته معها .

من هذا السلوك أنها كتبت الى شركة حكومية عربية للتوزيع تتهم دارنا بأنها « تنتحل صفة لم تعد لها ، فتبيع كتبها ــ أي كتب المؤلفة ــ لها دونما وجه حق » وتتهم هذه الدار بالسرقة والتزوير ، محذرة الشركة من التعامل معها !

وقد راعنا أن تلجأ المؤلفة الى هذا الاسلوب ، ولكن الشركة المذكورة كفتنا مؤونة الرد اذ أهملت الموضوع من أساسه لانها تعرف أن « دار الآداب » لا يمكن أن تقوم بما تتهمها به المؤلفة ، ولان كتب المؤلفة جميعها ، من جهة ثانية ، ممنوعة من دخول بلد الشركة منعا باتا لاسباب لا مجال لذكرها !

ومن هذا السلوك أيضا أن محررا صحفيا يتعاون مع المؤلفة ، على نحو ما ، كتب في مجلة « الوطن العربي » مقالا فيه اشارات الى دارنا حول نشرها كتب المؤلفة . وفي هذه الاشارات روح من الدس مرتبطة بمعلومات غير صحيحة لا يمكن أن يكون قد استقاها الا من هذه المؤلفة التي يؤسفنا مرة أخرى أنها لم تكن صادقة اطلاقا حين أمدته بها ، لانها تتناقض جذريا مع الوثائق الرسمية التي تملكها هي شخصيا بشأن كتبها والمطبوع منها ، والحقوق الكاملة التي تقاضتها من دار الآداب وأبرأت ذمتها منها حين جرت التصفية على هذه الكتب ... ودارنا على استعداد لنشر التفاصيل الكاملة لهذه الوثائق وفضح دعاوى المحرر والمؤلفة اذا لزم الامر !

ان بعض الناشرين أشرار ، يا صديقنا نزار ، ولكن يجب أن تعترف معنا بأن بعض المؤلفين ليسوا بالاخيار !

سهيل ادريس